بمناسبة منحه جائزة السلطان العويس

من سمح لمحمد الماغوط أن يقتل محمد الماغوط؟

دمشق - أُبيّ حسن

بكثير من الدفء مازلت أتذكر ذلك اليوم الذي توجهت فيه إلى مقهى الشام بغية التعرف على محمد الماغوط...

منذ قرابة العشر سنوات دخلت المقهى لأسأل عنه للمرة الأولى، وكانت تتراءى في الذهن صور «غربة» و«ضيعة تشرين» و«كاسك يا وطن» والقليل من «العصفور الأحدب»، والكثير من «المهرج» الذي سيطر على وعيي واحتل جزءا كبيرا من ذاكرتي في ما أنا أصافحه.

صافحني الماغوط ببرودة صفعتني، في الصوت وفي الاستقبال. ومن دون مقدمات أو توابل أثناء الترحيب قال لي وهو يمج دخان لفافته التي كما يبدو أنها خير أنيس له في صخب ضجيج صمته وانطوائه: «مشغول، عم اكتب مسرحية، لا تلهيني». بفضول أسأله: «ما اسمها؟»، يجيب: «أضع العنوان في نهاية المسرحية». أزيد من فضولي: «من سيمثلها»، يجيبني بقليل من الصبر: «محمود جبر».

كانت تلك المسرحية هي «خارج السرب»، التي مثلها وأخرجها الممثل المعروف جهاد سعد، وفعلاً كان من المفترض أن يخرجها محمود جبر غير أن الاتفاق النهائي لم يكن في صالحه.

تتالت لقاءاتي الودية بـ«فارس الشاعرة» التي ترجلت مبكراً عن فرسها تاركة خلفها الماغوط نهباً لجنون الريح ولأرصفة دمشق التي لم تتعب من وقع قدميه وطرق عصاه، وأيضاً تركته لامتحان كان صعباً عليه، ألا وهو امتحان الأصدقاء الذين خلّف غدر بعضهم بصمته الواضح في أعماقه المثقلة أصلاً بسحابات من هموم الوطن الذي متح الماغوط الكثير منها، لينسج رداءه المسرحي من تلك المآسي والأوجاع، إلى درجة تماهت معها أوجاع الاثنين، فغدا من الصعب الفصل بين الوجعين.

في البدايات حاولت جاهداً أن أفلح في فهم سر انطوائه وانكفائه إلى أن صرت أرى أنهما يشكلان حالة خاصة في حياته، ربما تصل حد القدسية، نظراً لتماهيهما بشخصيته المتفردة في كل شيء في زمن طغت فيه موضة «النعجة دوللي». كالعادة لم أتمكن في البدايات من دخول فردوس مملكته، التي حالت أسوار صمته وعزلته بيني وبينها. وعلى الرغم من هذه الإنطوائية، التي كنت أحسب أنها رهن بحضوري (الذي ربما كان ثقيلاً معظم الأحيان)، وعدم رغبته في الأخذ والرد معي، إلا أني لم أتوان عن طرق بابه طالباً العون عندما ألحت الحاجة بأنيابها عليّ حائلة بيني وبين مستقبلي. فلبّى النداء وساعدني بالقدر الذي أسعفه به مزاجه الذي يجمع الفصول الأربعة في آن واحد، وبالقدر الذي كان فيه مخلصاً لفنه (لن أستفيض في هذا الجانب كي لا أفسد حرمة المعروف، الذي قد أكون ملزماً بالكتابة عنه في غير مقام نظراً للأثر الكبير الذي تركه نبل الماغوط في أعماقي).

بعد أن أدركت بعضاً من أسباب مزاجه (أو هكذا توهمت)، صرت أقدس (طوعاً) كهوف العزلة التي ولجها مخبئاً على رفوف عتمتها، بعيداً عن أعين المخابرات وعن «ضمائر» محترفي سرقة أفكاره وأوجاعه، الكثير من ألمه وقهره وغضبه وعدم رضاه عما آل إليه الحال، أية حال.

ليس ثمة جديد في القول أن الماغوط كان مغموساً حتى العظم في مآسي العالم العربي، محاولاً فهم سرّ كل هذا التخلف الذي «ينعم» به الشرق، من خلال لغته اللاذعة في سخريتها، والتي كان لها الفضل الأكبر في ولادة مسرح جديد عرفته سوريا والعالم العربي طوال عقدي السبعينات والثمانينات من القرن الماضي. ذلك المسرح الذي يكفينا القول إنه مسرح الماغوط حتى يعرف المتلقي ماذا نعني. وليس سراً القول إن الماغوط أنجب مسرحه دون الاستعانة بقابلة «قانونية» عدّتها «عقد» النظريات وتنظيرات النقّاد (قبل التجربة لا بعده، في الحد الأدنى)، وبهذا المعنى كان محمد الماغوط القادم من حيث الشرق المقفر من كل شيء سوى الفقر والفكر وسحابات الصيف وليالي السهر والحب، مع مسرحه شاهداً ومعبّراً عن مرحلة من مراحل تاريخنا المثقل بالخيبات والهزائم.

يقول الراحل سعد الله ونوس في «بيانات لمسرح عربي جديد»: «من يدرس، ويتتبع بعناية أخبار الرواد الأوائل في المسرح العربي بين أواخر القرن التاسع وبداية القرن العشرين، يدهشه دون ريب حسّهم العميق بالجمهور، وجرأتهم على وضع الحلول لما كان يعترض تجربتهم الوليدة. حلول لم تكن نابعة من تأمل نظري متعال بقدر ماهي انعكاس لارتباطهم الوثيق بالجمهور، وتفاعلهم اليومي معه»... كأن سعد الله ونوس كان يتنبأ بمسرح سيكون صانعه الماغوط الذي ينطبق عليه الرأي السابق الذكر أكثر من أي مسرحي آخر أنجبته سوريا. وكأننا بالماغوط، بحسّه الفطري، أدرك أن أهمية المسرحية تكمن بمدى التصاقها بالبيئة (بمعنييها السياسي والاجتماعي الواسعين والمتماهيين مع الجمهور)، لذلك نجده نسج خيوط جلّ مسرحياته من تلك البيئة التي عايشها وعايشته، وعاركها وعاركته، حتى أنهكته.

دون ملل كنت أستمع مراراً إلى «غربة» و«ضيعة تشرين» و«كاسك يا وطن» على أشرطة الكاسيت. فقد كانت بداية معرفتي بالمسرح على وقع سطوة «البك» وطغيانه الذي يذكرنا بالأمس الهارب واليوم المليء بالأمل وإربما) بالغد ذي الرحم الذي لن يعرف الرحمة كما في «غربة». وعلى أجراس انكسارات الأحلام التي «خفف» عقله وحلم بها الماغوط في «كاسك يا وطن» قرأنا الواقع الذي عشناه، فبتنا نخشى من الحلم في مساحة أضيق من السجن اسمها الوطن. فرضينا بـ«الكاس» وسامحنا الغير مرغمين بـ«الوطن»، اللهم لاشيء، سوى خشية أن نكون نحن كفئاً- لا الغير- لأحلامنا... تماماً كما دفنت «أحلام» الماغوط في «كاسك يا وطن» والمسرحية لم تنته بعد(؟!). فالأحلام تموت ليس حباً بالموت، وليس لأن متطلبات النص المسرحي فرضت ذلك، لا، إن لموت أحلام (في «كاسك يا وطن») وقعاً أبعد من ذلك بكثير. إن لها صوت النبوءة على أفول العرب كأمة وكذات مهزومة، قبل أفولهم كحضارة نجدها في المتاحف والكتب الصفراء وعلى شرفات التاريخ.

بهذا الزاد المعرفي البدائي أشعر أنني شخصياً ممتن للماغوط بالكثير. ففضلاً عن أني عرفت المسرح على يديه، كذلك كان هو من أوائل من قرأوا لي نصا أبدى إعجابه به لا لجودته إنما كي لا يحبطني (والعلم عند الله)، ووافق عليه إبان وجوده عضوا في لجنة قراءة النصوص في مديرية المسارح والموسيقى منذ قرابة الخمس سنوات.

ولئن كان الماغوط المعبّر الرئيس والأول (مسرحياً طبعاً) عن ضمير جيلين من العرب، وعما كان يعتمل في نفوس الجماهير على صعيد الهمين الوطني والسياسي في فترة من الفترات، إلا ان من الإجحاف بحقه الادعاء أن نصوصه المسرحية على سوية واحدة، أوان مسرحه يضاهي شعره أو نثره، ولهذا الجانب من الحديث مكان آخر.

منحت مؤسسة السلطان العويس جائزتها السنوية لهذا العام إلى الشاعر والأديب محمد الماغوط، تقديراً منها لجهوده الإبداعية والأدبية. وبهذه المناسبة اقترح عليّ أحد الأصدقاء إجراء حوار معه، عسانا بذلك نشارك في تكريمه على طريقتنا وفي حدود إمكاناتنا المتواضعة والخجولة. هاتفت الماغوط ثاني يوم (وأنا أدرك حالته النفسية)، فوعدني خيراً.. هاتفته ثاني يوم، فقبل زيارتي لكن دون حوار.. وفي ثالث يوم هاتفته فيه كي اعلمه بقدومي سألني ببراءة طفل: «من انت؟ شو بدك مني؟ انت بتعرفني شي؟». عندئذ أغلقت سماعة الهاتف وصرت أفكر مجدداً بعزلة الماغوط التي غدا لها لون وطعم ورائحة بامتياز، إذ صارت كثافتها في الأفق تقف حائلة بين صاحبها والحياة (أو ما تبقى منها)، وصرت أردد في نفسي ما سبق أن قاله له ذات مرة الأديب وليد إخلاصي معاتباً: «من ذاك الذي سمح لمحمد الماغوط أن يقتل محمد الماغوط المبدع والفنان؟».. نعم محمد الماغوط، من سمح لك أن تقتل محمد الماغوط؟

المدعوة هـ.ل تتعثّر مجدّداً

شذا شرف الدين

كانت هـ. ل. تتقدّم تدريجياً، مركزة تركيزاً شديداً على تبديل خطواتها قصيرة، متحسّسة بحذر المساحة التي ستضع رجلها عليها خشية أن تدوس على حجر أو في حفرة قد تؤدي إلى وقوعها المحتم. إذ أنّ هـ. ل. انتعلت هذا الصباح اسكربينتها الحمراء ذات الكعب العالي والحاد الرأس وارتدت تنورة ضيقة جداً، بحيث إن فخذيها التصقا تماماً ولا مجال لهما للقيام بفشكة تتعدى مساحتها عرض التنورة إطلاقاً؛ هذا، إذا حصل وأوشكت على الوقوع مثلاً. لكن رغم انشغالها المكثّف بخطواتها، لمحت هـ. ل. شيئاً يلمع بالقرب من سيارتها التي كانت قد ركنتها بجانب الرصيف قبل دخولها إلى الكنيسة. فخفّت السير على رؤوس أصابعها هذه المرة، وبخطوات أصغر من ذي قبل، إذ أن فضولها لتفقّدَ ما تُراه يكون، أنساها حذرها ومخاوفها. وفعلاً، قُدّر لها أن تصل إلى السيارة دون أن يتعرضَ كعبها للانزلاق في حفرة، أو أن تتعرّض هي للتعثر بحصى. وكم تفاجأت حين تبيّنت بأن الشيء البرّاق الذي وُضع تماماً عند أسفل الباب الأمامي للفولز خاصتها، هو فردة حذاء!

كان حذاء جلدياً بلغ طوله ٣٥ سنتمتراً تقريباً، وكعبه خمسة سنتمترات على الأقل. يشبه كل الشبه مداساً تاريخياً رأته مرة في متحف الأحذية منذ فترة ليست بعيدة... وصُبّ طرفه الأمامي المُدبّب بالذهب الأصفر، مما جعل مقدمته تبدو كمثلث حادّ الرأس، قد يُستخدم كسلاح دفاعي في حال اضطر مُنتعله لذلك. أما جلد الحذاء، فكان مدموغاً برسومات لأفاع صغيرة ملتوية الأجسام، بدت رؤوسها وألسنتها جلية.

تابعت هـ. ل. التحديق في الحذاء وهو الآن بين راحتيها، فتعقّبت بنظرها التطريز المنمنم الذي خيط بحرفة بالغة بهدف وصل جلدة الحذاء بنعله، ثم واجهة الحذاء التي انقسمت إلى جزءين عند الوسط لتسهيل ولوج القدم، والتي دُقّت ثغراتها بحلقات ذهبية تنزلق من عبرها ربطة بدت، لبهاء حريرها، أقرب إلى عقدة رأس منها إلى شريط حذاء. كما أن نظافة الحذاء ولمعان جلده وشيا بأنّ أحداً لم يلبسْهُ من قبل. جالت هـ. ل. ببصرها في الأرجاء علّها تلمحُ صاحبَهُ في مكانٍ قريبٍ، إلا أنه ما من أحد. ما من سيارة. ما من حسّ؛ ولا حتى حفيف نسمة أو طنين ذبابة تدور في الفضاء الساحة فارغة كلياً.

نظرت إلى الحذاء مجدداً فاكتشفت أن ربطته ما زالتْ معقودةً، فشكّكت بأنه أفلت من قدم صاحبه من دون علم الأخير ورجّحت أنّ أحدَهم وضعَهُ أمام سيارتها عمداً. أجل، عن سابق إصرار وتصميم وإلا لما كان شريط الحذاء معقوداً.

لكن أحداً لم يعلمْ بوجودها في الكنيسة هذا الصباح! فهي نادراً ما تأتي إلى هذا المكان، وهي مرّت من هناك بالصدفة، وبالصدفة أيضاً سمعت موسيقى فاتنة، ما كانت لتسمَعَها إنْ لم تكنْ بوابة الكنيسة مفتوحة على مصراعيها، وإنّ قرارَها بدخول الكنيسة في تلك اللحظة، ليس إلا محض صدفة أيضاً. فكرت في قرارة نفسها أنه لا بد أن تكون هذه الحادثة رسالة إلهية ولا بدّ أنها هي المعنية بالموضوع شخصياً وعليها أن لا تمر أمام الحذاء مرورَ الكرام... سيّما أن الحذاءَ أعجبَها فعلاً وهي لم ترَ في حياتها في أناقته وجلاه. أخذتْ تتفحّص الحذاء من الداخل الآن واكتشفتْ أنه ليس بحذاء جديد، فالملمس الداخليّ حيث تُطبعُ ماركته كانَت ممحوّة تقريباً، مما يعني أنّ أحدَهم قد لبسَه ومحا عرقُ قدمه الكتابةَ. ثم تبيّنت شيئاً آخرَ بعد أن قلّبته: إن نعلَه محفوظ وعلى طرفه الأيسر خدشٌ بسيط، لكن أيضاً حديث العهد، مما جعلها تتأكد أنّ الحذاءَ ملبوسٌ من قبل وليس من شك في هذه النقطة بعد الآن. وعندما انتبهت إلى خطوط أشبه بشيفرة من أحرف كتابية حُفرت على قاعدة المثلّث الذهبي المصبوب على مقدمة الحذاء، قدّرت أن يكونَ صاحبه ينتمي إلى فرقة سرية تعملُ في الأندرغراوند، من المعارضين النبلاء. وحزمت أنها لا تستطيع تركه هكذا مرمياً على الأرض وأن هذا الاحتمال يوجب عليها تتبّع الأمور إلى أن تكشف الحقيقة. فتحت الباب الخلفي لسيارتها الفولز الخضراء وانحنت مادة كلتي ذراعيها لتركز الحذاء على المقعد الخلفي بحذرٍ سميك من رفّ المكتبة، أسندت إليه نعل الحذاء مصوبة مقدمته الذهبية الحادة نحو السقف، ما جعله يبدو شبيهًا بصاروخ صغير، ومدخل القدم بجوف لا قرار له. وكانت تلك الوضعية هي التي أوحت لها بطرح أسئلتها مباشرة عليه، رغم علمها بأنه لا يتكلّم. لكن تجربتها في محاولة حل الأمور المعقدة، علّمتها بأن عليها أولاً إيجاد الكلمات المناسبة لأسئلتها، وثانياً طرح الأخيرة بصوت مسموع، فذلك يوّضحُ أشياءَ لم تكنْ لتنتبه إليها عبر عملية التفكير وحدها. وبدأت:

من وضعك أما سيارتي ومَن هو صاحبك؟ هل أهديت له، اشتراك أم سرقك، وفي الحالتين الأخيرتين هل حصل ذلك في هذه المدينة أم في مدينة أخرى ومتى؟

كم يبلغ طوله، كم وزنه، ما هي جنسيته، ماذا يعمل، أي حزب ينتخب، أين يسكن؟

هل يسكن وحده، هل له صديق أم صديقة؟ هل له زوجة، عشيقة، هل يعرف التنسيق بينهما؟

هل هو وَهوبٌ، فيّاضٌ، نفّاث أم أنه لحرٌ، كزٌ، حَصور؟

هل ينصت لمحدثه أم أنه مأخوذٌ بنفسه؟

هل هو حصينُ الصدر أم بؤوحٌ بما فيه؟

هل له أعداء، ومن هم أعداؤه؟

هل يلاعب الأطفال أم يبعدهم عنه؟ هل يحبه الآخرون؟

هل هو عَبَلُ الأوصال أم خرعُ المفاصل، هل هو مجدولُ الخلق أم هشيمٌ خَوَارٌ؟

هل يتبرع بالعمل للصليب الأحمر في الحرب أم أنه يحمل السلاح؟

هل يحلق ذقنه يومياً ويضع الأفترشيف، وما هي ماركته؟

هل يشخر في منامه، هل يغتسل كل يوم، هل له رائحة رجلين؟؟؟؟...

أعادت هـ. ل. الحذاء إلى مكانه وكانت تشعر بالجوع، فأشعلت سيجارة وفكرت بصمت دون النظر إليه هذه المرة.

وكانت قد نهضت وجذبت إحدى ذراعيها إلى معدتها ساندة إليها الذراع الأخرى، التي تحمل السيجارة، عندما تفاجأت بنقرة عند أسفل ظهرها جعلتها تتراجع إلى الوراء وجعلت يديها تصفقان ورجليها تقفزان وشعرها يتناثر في الهواء...

لا، لم يكن هناك مَن نقرها، بل كانت فكرة. جاءتها الفكرة من الخلف بغتةً وقالت لها: عودي إلى حيث وجدته، عودي إلى الموقف حيث ركنتِ سيارتك، وعلّقي إعلانا على شجرة اللزيب المجاورة. لا بد أن صاحبَه يبحث عنه الآن في محيطها. اكتبي رقمَ هاتفك كي يتصل بك في حال مجيئه!

يا للحماقة! فكّرَتْ هـ. ل.: هذا ما عليّ فعله! بدّلتْ ثيابَها على عجل وانتعلت حذاءها المطّاطي ثم كتبتْ إعلاناً يقول ما يلي:

«إلى من فقد حذاءَهُ: وُجِد بالقرب من هذا المكان حذاءٌ رجاليٌ. يرجى ممن يعرفُ عنه شيئاً الاتصال على الرقم الآتي: «٣٠٣٩٤٨١٤».

في الطريق إلى الكنيسة راحت تتلفّتُ باحثة في جميع الاتجاهات عن شخص أو مبنى أو سيّارة راكنة. ما من أحد، ما من مبنى مًا من سيارة... فقط بعض الطيورِ السوداء المحلّقة في السماء والمحدثة أصواتاً لا بل ضجيجاً مزعجاً. تسلقت الدرجات المؤدية إلى الكنيسة واكتشفتْ لمّا حاولتْ الدخولَ إليها أنّ جميعَ أبوابها مُقفلةٌ. حامَتْ حولَها، ونظرتْ إلى الأعلى لعلّها ترى أحدَهم يطلُّ من شبابيكها الإثني عشر: ما من أحد. ثم بحثت في السماء عن سرب الغربان السوداء الذين حلّق عند وصولها، لكنّ الأخير كان أيضاً قد اختفى. بدأ جسمُ هـ. ل. بالارتخاء، فهو كان يرخي عضلة من عضلاته مع انطفاء كل بصيص أمل واحد. ثم مشتْ باتجاه شجرة اللزّيب المجاورة إلى الموقف وعلّقتْ الإعلانَ بواسطة دبوس صغير. فيما كانت تشكّ الورقة بجذع الشجرة، نَغز الدبوس إصبعَها وفرّت منه نقطة دم سقطت على الورقة البيضاء. عندما شاهدت كيف انطبعت النقطة الحمراء على الورقة، تمنّت في سرها أن تكون شفتا صاحب الحذاء حمراوين كحُمرة دمها ووجهه أبيض كبياض الورقة.

كان الطقس صافياً ولا يوحي بقدوم مطر قريب، فاطمأنت؛ كون ذلك سوف يحمي الورقة من التلف السريع. استقلّت سيارتها وعادت مسرعة إلى المنزل.

كان الحذاء ما زال في الوضعية نفسها التي تركته فيها، أي مُسنداً بنعله على القاموس ومُوجَهاً برأسه نحو السقف. رمت هـ. ل. بمفاتيحها حيثما اتفق وبجسمها على إحدى الكنبات الشاغرة، وقبل أن تأخذ الكنبة شكل مؤخرتها أجفلتها رنة الهاتف. ركضت والتقطت السماعة.

● مَن المتكلم؟

- لقد قرأت الإعلان عن الحذاء المفقود وأعتقد أن الحذاء المعني هو حذائي.

● آها! وماهو مقاس الحذاء المعني؟

- يجب أن يكون مقاسه ٤٥ سيدتي.

● خطأ سيدي، انه ليس حذاءك، فالمقاس الذي ذكرته لا يتطابق مع مقاس الحذاء المعلن عنه. إنه ليس لك! وأقفلت الخط قبل انتظار جواب من المتكلم.

نظرت هـ. ل. إلى الحذاء وقالت إنها آسفة، فالمتكلم ليس صاحبه! وما أن انتهت من جملتها حتى رن الهاتف من جديد.

- مرحبا سيدتي، لقد قرأت الإعلان المعلّق على شجرة اللزّيب بالقرب من الكنيسة، وأنا فعلاً أضعت حذائي عند خروجي من الكنيسة الأسبوع الفائت. لذلك، أظن أنني صاحب هذا الحذاء.

- هذا مستحيل أيها السيد، فإنّ الطقسَ كان ممطراً خلال الأسبوع بكامله، حتى يوم البارحة. ولو كان ذلك حذاءك لأصبح اليوم بحالة مختلفة عن التي وُجد فيها. آسفة، هو ليس لك!

وأقفلت الخط كما في المرة السابقة دون انتظار جواب المتكلم، ثم اتّجهَتْ مسرعة نحو الحذاء فتفرّسَتْ فيه كي تتأكد فعلاً من عدم وجود أي مؤشرات تشي بتلقيه كمية كبيرة من المطر. لا، لا، هذا ليس له، فجلده الخارجي ما زال طرياً وملمسه ناعماً كملمس الشمع... مستحيل أن يحافظ على تلك الطراوة حتى ولو مكث يوماً واحداً تحت المطر. قالت هـ. ل. لنفسها لكن بصوت مسموع. ثم سمعت رنة الهاتف من جديد، ركضت والتقطت السماعة:

● مَن المتكلم؟

- مساء الخير، قرأتُ إعلانا يشير إلى حذاء مفقود وأظن أنني صاحب الحذاء المذكور، فهو كان اليوم في حوزة زوجتي التي أرادت أخذه إلى صانع الأحذية ليعيد لصق نعله، إلا أنها فقدت إحدى فردانه وهي في طريقها إلى الكنيسة...

● آها! و ما مقاس حذائك؟

- ٤٣ سيدتي.

● خطأ! وأقفلت الخط دون أن تستفسر عن أي تفصيل إضافي، فمقاس الحذاء هو مبدئياً المشير الأول إلى صاحب العلاقة.

وكما في المرة السابقة، لم يلبث الهاتف إلا ورن من جديد:

- مَن المتكلم؟

- مرحبا آنستي، قرأتُ الإعلان عن الحذاء المفقود وأنا أتصل بك لظني بأنه حذائي، فأنا أضعته اليوم وأنا في طريقي إلى الكنيسة. المشكلة هي أنني أضعته على بعد عشرة كيلومترات منها، فغريب أنك وجدته أنت بالقرب منها. لكن لا يهم الآن. أرجو أن تردي لي حذائي.

● على بُعد عشرة كيلومترات.. هم.. و ما مقاس حذائك المفقود؟

- تسعة وثلاثون سيدتي.

● تسعة وثلاثون! كلا، المقاس الذي أشرت إليه هو مقاس خطأ. هذا ليس حذاءك!

وأقفلت الخط مضطربة فهي كانت تحسب أن أصغر رجل رَجل لا يمكن أن يكون مقاسها أقل من أربعين! لا، لم تكن تتوقع أن ذلك ممكن.

رنّ الهاتف خلال النهار والمساء عدة مرات وفي كل مرة كان المتكلم يخطئ في حزر مقاسه، أو لونه، أو ماركته، أو جلده، وعندما يصيب في صفة يخطئ في التالية وهكذا. إلى أن تعبت هـ. ل. وقررت اللجوء إلى النوم ومباشرة البحث في اليوم التالي.

لكن بعد حلول منتصف الليل بساعات، سمعت هـ. ل. رنة الهاتف من جديد فرفعت السماعة وقبل أن تسأل عن المتكلم جاء من الجهة الأخرى صوت رخيم دافئ يقول:

- عمت مساءً سيدتي. أعتذر لاتصالي في ساعة متأخرة من الليل إلا أنها فرصتي الوحيدة للاتصال بك. لقد قيل لي أن أحدهم وضع إعلاناً عن حذاء ضائع، وسجلّ هذا الرقم للاتصال بالشخص الذي وجده وها أنا أتصل لظني أن الحذاء المشار إليه هو حذائي.

● وما هو مقاس الحذاء الذي تبحث عنه سيدي؟

- ٥٠ سيدتي

● حسناً. وماذا عن لونه، ماركته، ميزاته من الداخل والخارج الخ...؟

فبدأ المتكلم بوصفه وصفاً دقيقاً دون أن ينسى تفصيلا واحداً، حتى إنه وصف أشياءَ لم تكن هي قد انتبهت إليها، كغياب البلاستيك الصغير اللاصق على إحدى جهات الربطة أو وجود خدش بسيط من الصعب رؤيته في أسفل اللسان الداخلي، أو نفور النقش لإحدى الأفاعي على طرف الحذاء الأيسر...

في تلك الأثناء كانت هـ. ل. تصغي إليه بذهول وحماس شديدين إذ تراءى لها أنها سمعت هذا الصوت من قبل. هي تعرف هذا الصوت، هذا صوت جارها قاطن العمارة المقابلة. أجل هو ذلك الرجل الذي التقته مرتين، مرة أمام الموقف حيث حيّاها بلطف بالغ رغم عدم معرفتهما لبعضهما البعض متمتماً: صباح الخير سيدتي... ومرة مساءً، حين حيّاها قائلاً: مساء الخير سيدتي... ثم صعدا المصعد سوياً حيث استطاعت شم عطر لذيذ خرج من ثغرتي أنفه، وأنساها انشغالها بتلقي الأنفاس المعطرة على وجهها، عن الضغط على زر الطابق الثالث حيث شقتها هي. أخلى هو المصعد عند الطابق السابع فاستدار برفق وقال دون النظر إليها مباشرة لكن في غاية من النعومة وبصوت رخيم: تصبحين على خير سيدتي... أجل، أجل هذا صوته فكرت هـ. ل. حاسمة متحمّسة!! وبدأ قلبها يخفق بسرعة مريعة، والعرق يتصبب من جبينها من تحت إبطيها ثم من جميع أنحاء جسمها، فاستجمعت كل ما لديها من طاقة نبيلة ونيأت حسنة، زمّت شفتيها ورفعت حاجبيها ثم سألت بصوت خجول مخنوق:

● سيدي، هل تتزوّج؟

وقبل أن يأتيها جواب من الجهة الأخرى، ارتج جسد هـ. ل. إثر سماعها رنّة جرس ثاقبة تَصَمّ لها الأذنين، فاستفاقت مذعورة من نومها وقفزت عن سريرها مهرولة في اتجاه الصوت، فتعثرت بكومودا الصغير وكادت أن ترتطم بحائط الممر الموازي لباب المدخل، فبعَلاقة المعاطف، فبحاوية الشماسي، فبرجليها نفسها، ثم بالباب بحد ذاته لولا أنها كانت تنتبه إلى تلك الأشياء في اللحظة الأخيرة.

● اللوحة للفنان بيلاني

توقيعات

«تحتاج أوروبا لأي عذر لإظهار عدائها للغرباء»

(ياسمين البهاي براون)

● مما نقلته مجلة «نيوزويك» (١٤ شباط ٢٠٠٦) عن الصحافية البريطانية، في معرض تحقيق عن السياسات الأوروبية تجاه الهجرة، خصوصاً الإسلامية منها.

«بالنسبة لليبيراليين كل شيء يجب أن يكون مسموحاً به، لكن لا شيء يجب أن يُحمل على محمل الجد»

(ستانلي فيش)

● هكذا علّق استاذ القانون في جامعة فلوريدا الدولية (صحيفة الهيرالد تريبيون ١٤ شباط ٢٠٠٦) على السجال الدائر حول نشر الصور الكاريكاتورية المسيئة لنبي الإسلام.

«الصعايدة مكتوب عليهم الحرق بالقطار أو الغرق بالعبّارة»

(فارس الجعفري)

● مما قاله النائب في مجلس الشعب المصري («روز اليوسف» ١١ شباط ٢٠٠٦) حول كارثة غرق السفينة «السلام ٩٨»، قبل تقديمه طلب استجواب للحكومة.

«أنا قاعدة. أنا العدو، هذا سيرك وليس محاكمة»

(زكريا الموسوي)

● موسوي هو الشخص الوحيد الذي أُحضر للمثول أمام المحكمة في قضية التورط بهجوم ١١ أيلول. الكلمات أعلاه قالها (عن مجلة التايم عدد ١٣ - ٢٠ شباط ٢٠٠٦) في أثناء إبعاده عن قاعة المحكمة، ذلك الإبعاد الذي تكرّر أربع مرات في ذلك اليوم.

«مبارك يسلم الكأس الأفريقية الخامسة... وهي الثالثة التي نفوز بها في عهده»

(محمد هيبة)

● هكذا، عقّب الصحافي المصري («صباح الخير» ١٤ شباط ٢٠٠٦) على فوز المنتخب المصري لكرة القدم، ببطولة أفريقيا التي أقيمت في القاهرة.

«يبدو، الرئيس (...) فارضاً الرقابة والسيطرة وذلك بتمنعه عن تعيين حدود ما هو مسموح به»

(مايكل سلاكمان)

● من تحقيق نشرته صحيفة «نيويورك تايمز» (١٤ شباط ٢٠٠٦) لمراسلها من طهران حمل عنوان «فنانو إيران يتساءلون إلى أي حد يمكنهم الذهاب».